

أضواء البيان

@ 421 الامتناع ، ومنه النكول عن اليمين ، والنكل القيد . قاله القرطبي . .
واختلف في الآخرة والأولى : أهم الدنيا والآخرة ؟ أم هم الكلمتان العظيمتان اللتان تكلم بهما فرعون في قوله : { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلهٍ غَيْرِي } . .
والثانية قوله : { أَزَلَّكُمْ الْإِلَهِ } . .
قال ابن عباس : وكان بينهما أربعون سنة . وقد اختار ابن كثير الأول ، واختار ابن جرير الثاني ، ومعه كثير من المفسرين . .
ولكن يرد على اختيار ابن كثير : أن السياق قدم الآخرة ، مع أن تعذيب فرعون مقدم فيه نكال الأولى ، وهي الدنيا . .
كما يرد على اختيار ابن جرير ، أن الله تعالى جعل أخذه إياه نكالا ، ليعتبر به من يخشى ، والعبرة تكون أشد بالمحسوس ، وكلماته قيلنا في زمنه . .
والقرآن يشهد لما قاله ابن كثير ، في قوله تعالى : { فَالْيَوْمَ نُنْذِرُكَ بِرَيْدِنَاكَ لَتَتَكُونَنَّ لِمَنَ خَلَقَكَ آيَةً } ، وهذا هو محل الاعتبار . .
وقد قال تعالى بعد الآية : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى } . .
واسم الإشارة في قوله : إن في ذلك : راجع إلى الأخذ والنكال المذكورين ، أي المصدر المفهوم ضمناً في قوله تعالى : { فَأَخَذَهُهُ اللَّهَ } وقوله : نكال ، بل إن نكال مصدر بنفسه ، أي فأخذه الله ونكل به ، وجعل نكاله به عبرة لمن يخشى . قوله تعالى : { أَعَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بِذَاهَا } . لما كان فرعون على تلك المثابة من الطغيان والكفر ، وكان من أسباب طغيانه الملك والقوة ، كما في قوله تعالى : { وَفِرْعَوْنَ ذَرَى الْأَرْضِ وَتَادِرَ } ، وقوله : { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ } .
{ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَرْضُ تَجْرِي مِن تَحْتِي } . .
وهذه كلها مظاهر طغيانه وعوامل قوته ، خاطبهم الله بما آل إليه هذا الطغيان ، ثم خاطبهم في أنفسهم محذراً من طغيان القوة { أَعَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ } ، حتى لو